السماءُ تنظف منديلها البرتقالي

بسم الله الرحمن الرحيم

السماءُ تنظف منديلها البرتقالي (شعر)

مهدي سلمان/ البحرين

لوحة الغلاف

للفنان التشكيلي البحريني جعفر العريبي

الطبعة الأولى

1430 هـ - 2009 م

ردمك 978-9953-87-814-0



ص.ب: 222 الصفاة

الرمز البريدي 13003 الكويت

البريد الإلكتروني: info@masaa.info

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.masaa.info



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 785108 - 785107 (961-1) - 786233

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان

فاكس: 786230 (961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

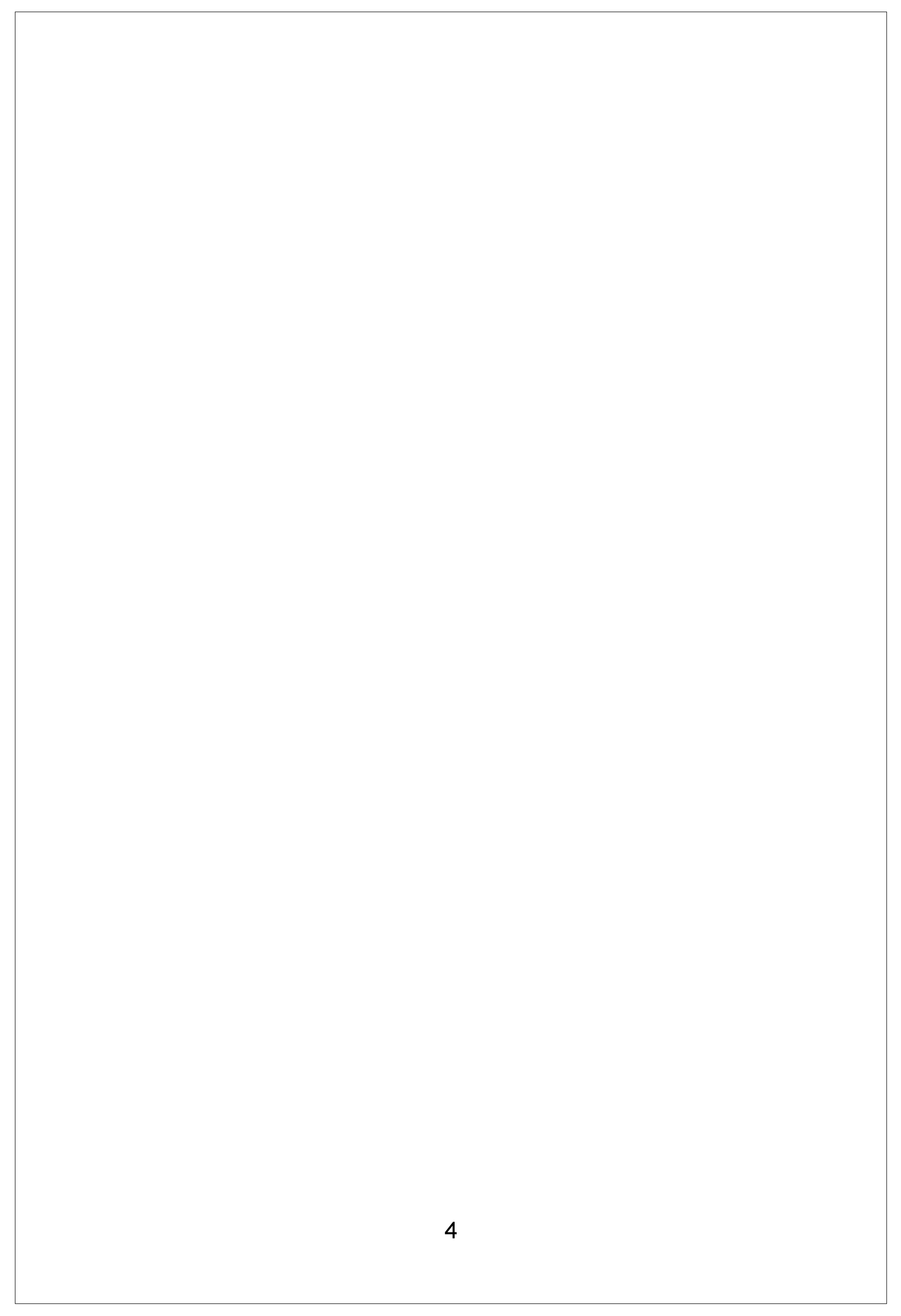
السماءُ تنظف منديلها البرتقالي

شعر

مهدي سلمان







المحتويات

إليكِ أومئ

وناحيتكِ أشير..

أعدّ قلوبـــي قلباً قلباً.. فلا أرى فيهم سواكِ

م. س

ظلال الزجاجة الخاملة

تتفقدُها.. تستريبُ به

أيقظتهُ وعيناهما دهشتانِ
وتهتزُّ في يدها كومةُ الأسئلة..
أيُّ ذنبٍ تُراني اقترفتُ
لتُسكنَني هذه الجملَ المستديرةَ
..
عمري على قدرِ عينيّ
والضوءُ يخرجُ من كوّةِ الوقتِ
ملتبساً بالنهاياتِ
والصمتُ صنّارتي
لاصطيادِ الصباحاتِ ذاتِ الأحاديثِ
ذاتِ الحكايا الخفيفةِ كالمطرِ المتردّدِ..
أو لاصطيادِ أغانٍ مهدّدةٍ بالرحيلِ المفاجئ
أو لاصطيادِ اللغاتِ الحميمة والمقفلة.

* * *

من أنا كي أصدِّقَ
أني اختبارُكَ للأنبياءِ
وأنّكَ أرسلتَهم كلّهم

لتدحرجَ هذا الكتابَ إلى عنقي
ولتُغرِقَ في لجّتي الأممَ الجاهلة.

* * *

من أنا كي أصدّقَ
أنكَ لوّثتَ كفيكَ بالطينِ
كي يسجدَ البشرُ الخاطئونَ لنوري
ويغتسلوا من بقايا وضوئي

وأنكَ أحرقتَ عينيكَ بالنارِ
كي تطمئنَ الشياطينُ من ريشِها
عندما تتذكّرُني
أي ذنبٍ تُرابي اقترفتُ..
لتخدعَ حدسي البسيط؟
وتدخلَ لي أنتَ
من جهتي الغافلة..

* * *

أي ذنبٍ..
لينهضَ من بين عينيكَ بحرٌ
تقسّمه كيفما تستطيعُ
وأغرقُ فيه كما أستطيعُ
وأخطئ فيكَ، وأعبدُ غيرَكَ ثم أضيعُ..

ركضتُ وراءكَ..

قلتُ لمن عرفوكَ، ألم تعبدوهُ؟

فقالوا: بلى، غيرَ أنا

ملكناهُ حين امتحنّاهُ

قلتُ.. ألم تسألوهُ عن اسمي؟

فقالوا: أشارَ لنا، فصمتنا

ولكنه بلّلت دمعةٌ وجنتيه.. فبكينا عليه

قالت امرأةٌ منهمُ

كان ينظر للغيمِ حين صمتنا

وقالَ لنا.. إنني إذ أحبُّ أديرُ عقاربَ هذا الخلودِ

إلى رحمةِ الموتِ

أختزلُ الأبدَ اللانهائيّ في خفقةٍ

وأكدّسُ هذا الوجودَ بتنهيدةٍ

هل فعلتَ..

اختنقتَ بكلمةِ حبٍّ

فلا أنتَ حرّرتها من جنونِكَ

حين تدحرجتَ فيها،

ولا أنتَ طمأنتها بالبكاءِ عليها

إذاً.. من أنا

كي أصدّقَ أنكَ أحدثتَ في قلبِ كونِكَ ثقباً

لتبصرني آيةٌ وأنا أستحمُّ فتولعُ بـــي.

* * *

أنا مؤمنةٌ بقضائكَ، مؤمنةٌ بجنونِكَ
مؤمنةٌ أنكَ الواحدُ الفردُ
ماذا تريدُ من امرأةٍ أنتَ كوّنتَها بيديكَ،
لتُدخلها في امتحانٍ كهذا؟
لتصعقها باحتمالٍ كهذا؟
لتشغلها عن عبادةِ أخطائها
بمديحِ غرورِكَ؟
يا..

أيُّ ذنبٍ تُراني أتيتُ
لتصنعَ بـــي كلّ هذا الهوى، وتقولَ اكتفيتُ
لأصدّقَ أنكَ أحببتني في الخيانةِ،
أو خنتني حين منكَ احتميتُ

لأصدّقَ أني الغريبةُ عن نفسِها
وأصدّقَ أن جنونكَ بيتُ
إيُّ ذنبٍ تُراني أتيتُ..
ليسكنني دونَ أن أتنبهَ هذا الغرامُ المميتُ.

* * *

مع أنثى.. ومن دونها

مَضَت، ولا كلمةٌ في الروحِ

لا حلمٌ يشيرُ لي اخرج إلى منفاكَ

لا وطنٌ أُنفى إليه..

مضت

لولا جنوني لأدركتُ الذي ارتبكت

فيهِ الحكايةُ

مرّغتُ الكلامَ

على نومي..

مضت

وأنا

قومٌ سُكارى،

يمدّونَ الضجيجَ على ليلٍ،

ويبكونَهُ سرّاً

ينادونني..

هاتِ النبيذَ، ولا كأسٌ لأسكبني فيه..

مضت..

ومضت

* * *

للحكايةِ وجهانِ،

ما قُلتُه لي حينَ ندمتُ

وما لم أقلهُ لها

ينضجُ الندمُ المرّ

أبطأ من نُضجِ وهمِ مغازلةٍ

مع عينينِ مثلِ اللتينِ التقيتُ

كأنّهما إصبعانِ تشيران (ماذا تريدُ؟)

فهل كانتا تعرفان الجوابَ؟

* * *

وقد ينضجُ الذنبُ أسرَعَ

خيلٌ تدوسُ على غيمةٍ حرّةٍ.. لا تمزّقها

أو كسرب جرادٍ

يحطّ بحقلِ (مطوّلةٍ)

فيحوّله لقصيدةِ (هايكو)

غزالٌ يعلّمُ بعضَ الفراشِ

اصطيادَ الكناياتِ

ينضجُ أسرَع..

لكنني لم أقله

الكلامُ الذي خبّأته الطبيعةُ فيّ

الكلامُ الذي انتظرتهُ

الكلامُ الذي ليس شعراً، ولا معجزاً

مثلُ.. "عيناكِ بنيّتانِ"

كم الساعةُ الآن؟

من أينَ هذا الحذاءُ الجميلُ؟

ومنذ متى أنتِ تنتظرين؟

الكلامُ.. السؤالُ الذي لا جوابَ لهُ

غيرُ خفقٍ سريعٍ

وتنهيدةٍ.

* * *

للحكايةِ وجهانِ

لكنها.. مثلهنّ جميعاً

مضت.. بالنبيذِ..

ولا كأسَ أسكبني فيهْ.

* * *

سهو

علمتني الإيماء

حين أريدُ أن أبكي بصدرِكَ
لا أقولُ.. تعالَ خذني للندى..
تبتلُّ أغنيتي على شفتي
وتسقط تسع عشرة نجمةً
من ليلِ ميلادي.. فحسبُ

وأنتَ تعرفُ كيفَ تسرقني من الحمّى
وكيفَ تحيلُ صدركَ خيمةً
وسحابةً في الليل.

* * *

(من يحتاجُ للقاموسِ؟)

حين تفرُّ من عينيّ مفردةٌ
تقولُ (حبيبـــي احضنّي)
أعلّق زهرتين من البنفسجِ
في قميصِ الأرضِ

(أقرصُ) قلبيَ الشتويّ من فوضاه

أطبقُ آيتي عيني على حلمي
فتدركُ ساعداكَ طريقها
من حول خاصرتي..
كقطٍّ غامضِ الإحساس،
مهما ضلّ
يعرفُ كيفَ يقرأ في الظلام
طريقَهُ للبيتِ
كالبدويِّ يُدركُ بالسليقةِ دربَهُ في رحلةِ الصحراءِ.

* * *

لكني..
سأعرفُ أنني
(أحتاجُ للقاموسِ)
حين الأرنبُ البريُّ في كفيكَ
يأكلُ عشبَ ناصيتي..
فتسقطُ من فمي من دونِ أن أدري..
(أحبّك)

* * *

نوبة ليلية

في المتحف المخبوء في أعماقِها
ليلٌ عجوزٌ يُصلح الساعات
يجمعُ ما تبقّى من عقاربها
بجيب قميصِهِ
وينظّفُ الذكرى
عجوزٌ طيّبٌ..
يمشي على أطرافِ دهشتِها
وحيداً

حاملاً فانوسهُ الشعريّ
يخبو قلبه حيناً، وأحياناً
إذا أذكاه، يشتعلُ الكلامُ بها
فتسكبُ في الظلامِ قصيدةً، أو دمعتينِ..

يمرّ متكّئاً على الأوهامِ
ينفضُ عن حبيبٍ سابقٍ بعضَ الغبار
فتشهقُ الأنثى بداخلها..
يحدّقُ في أصابعهِ

فتفركُ في أصابعها الدموعَ،
وتُسجنُ البنتُ الصغيرةُ
بين حسرةِ إصبعين..

برعم النار

إنما انتظري..

من يلومُ الغريبَ على حزنهِ

وارتباكِ قناديلهِ في الشتاءْ.

* * *

كان يوشكُ أن يستريحَ

ويقذفَ ما ظلّ من وردِ أيامهِ في الهواءْ

في يديهِ كتابٌ قديمٌ عن الحربِ

بين الصنوبرِ واللغةِ الذاهبة

وتحتَ وسادته

تتكسّر (نظّارةٌ) لا ترى

وسماءٌ مؤطرةٌ بانكساراتِها الخائبة.

* * *

من يلومُ الغريبَ إذا ما غفا

فوق دفترِ أشعارهِ

ونسى موعدَ الشايِ والشعر

والموتِ – في جيبهِ – والدواءْ.

* * *

حديثٌ عابر.. على طاولةٍ قصية

– أتبكين؟

– لا.. لستُ أبكي،

تجاوزتُ وقتَ البكاءْ

...

– إذاً لم أشعرُ أني غرقتُ؟

– بماذا غرقتَ؟

– بهذا الذي لا أراه، ولكنني أتذكّره

– ما هو؟

– الوقتُ..

هذا الجدارُ القديمُ..

الذي نسيت فيه عاشقةٌ حلمها،

وبريقَ خواتمها

شارعٌ ضائعٌ في الشوارع

يسألُ عن نفسهِ..

يتحّرى دبيبَ محبين

يختلسانِ له

كلما هتفت جمرةٌ في المساءْ

أحبكَ

- روح من اللهِ.. (حلمُكَ)

- تبكين؟

- لا.. لا أريد البكاءْ

...

- إذاً لِم أشعرُ أن السماءَ التي نسيتكِ هنا،

لم تلامس فناجينَ قهوتها..؟

- ربما كانت القهوة البكر باردةً

والسماءُ تحبّ اقترافَ

قليلٍ من الدفءِ

في ثلجةِ الوقتِ..

حين تلامسُ جلدَ الشتاءْ.

* * *

ناي

كيف يُدركُ حزني ويطلقهُ في المدى؟

كيفَ يحفظني هكذا

ويُردّدني كلمةً.. كلمةً؟

مثلُ من يتحسّسُ بينَ يديهِ الظلامَ،

فينفُضُهُ جلدُهُ.

* * *

واقفٌ كالنعاسِ العجوزِ

وفي ظهرِهِ تينةٌ تتبرّجُ للماءِ، مزرقّةٌ،

ويشيرُ إلى وجعي:

ها هنا جسدٌ غائمٌ،

ها هنا طفلةٌ خدعتها طبيعتها،

ها يدان تشيخانِ إن مسّتا نهدَ أنثى

وها ظلُّ درّاجةٍ

نسجت عنكبوتٌ على جلدِ مقعدِها

ها صغيرانِ يختلفانِ مع الله

في وقتِ صومِهِما

ها كلامٌ عن الجنسِ

تسمعُهُ نخلةٌ.. فتُصيخُ

وتبسمُ في خجلٍ،

ثم ترفعُ أعذاقها في وجومْ.

* * *

كيفَ فصّصني هكذا؟

كيف أدخلني في الثقوبِ

وأخرجني آهةً،

ذلك الناي..

* * *

في حلم

قبّلت بين عينيّ،

غطّت جبيني بخوفٍ رقيقٍ،

ودحرجت الشمس عن كتفي

يا أناملها.. غرّري بالكلام

ضعي فوق ناصية الكون

في رأفةٍ (سلّة الخوصِ)

فرداً أعرّي أمامكِ صدري..

ولا أستحي

فرداً..

ولا أستحي.

* * *

ها هنا جمرةٌ

وطنٌ

أرخبيلٌ يهدهدهُ البحرُ

لوعةُ أنثى

تُشيرُ إلى آيةِ النهدِ بالنهدِ

لو أومأت لي بشامتها لم أشك

لآمنتُ

كنتُ تحسستُ

هذا العمى

وصحوتُ عليّ

وبللتُ بالعمرِ أجنحتي..

فاسبحي..

* * *

طلعت من تفاصيل خضرتِها،

بخطى تتقدّم

- مكسورة تحتها الأرض -

نحوي

تقوم الأباريق من خلفِها،

تقطعُ الرملَ خنصرَهُ..

فيسيلُ دمُ اللون

يفتحُ شبّاكهُ قمرٌ نائمٌ

في فراش السماوات

تأتي وتسقط في شفتي ضوءها

يتثقّبُ من حولي الظلّ

يثقبني

أمّحي..

* * *

سوء فهم

من دون أن أصغي لما ستقوله عني
سأذهب في تخيل ما سأعرفُ عنكَ
لن أعمى عن العفويّ
لكني سأمسكُ حلمة التكوين
في وصفٍ يُراوغُ بين تبرير الحقيقة أو تلمّسها.

* * *

ستسرفُ في مكاشفةِ النبيذ
فتشتهي شفتيّ
أعرفُ كيفَ يأسركَ الكلامُ
وأنتَ صنو الصمت.

* * *

أعرفُ كيفَ في نومٍ فركتَ لسانكَ
استسلمتَ للمفهوم
ألقيتَ الحديثَ على الأريكةِ مهملاً
وذهبتَ في حلمٍ (...)

* * *

نظرتَ بقسوةِ الجنديّ في شفتيْ
ومزّقتَ احتمالَ الوردِ في فستانها
قلتَ امنحيني..

واستبدّ الصمتُ في عينيكَ
أعرفُ أين تمضي هذه النظرات
أعرفُ كم تخافُ من التوحدّ فيّ
كم تخشى عليكَ من اقتحامِ حمامتي البيضاء
حصنكَ من سماءٍ ذوّبت قلبينَ في غيمٍ
وأعرفُ حينما بدلاً عن العَرَقِ الخفيف
تلطّخ الجدران من حول الوحيدةِ صورة البارود.

* * *

– لكني أريدكِ..
كل ما في الأمر أني أشتهيكِ
..
تبالغينَ بوصفِ ما أعنيه
لا تضعي اشتهائي الأحمر الأعمى
بغيرِ سياقِهِ.

* * *

(تتبسمين)..
– أجل

وأخجلُ منكِ، ثم بقسوةِ الجندي
أنظرُ مرةً أخرى إلى شفتيكِ.. والمعنى.

* * *

ورق أصفر.. من مفكرة مهملة

1

سحرهُ أبيضُ

كانَ ذاكَ الكلام

يا حبيبـــي حرامْ

ثلجُ قلبـــي خفيفٌ وهشٌّ،

وأنتَ تدوسُ كأنك تعرفُ دربَ الظلام.

2

تقولُ لي الحبُّ؟

لا شأن لي أنا فيما تقولُ

كلُّ ما أتذكّرهُ..

أنني.. حين هاتفتكَ استبدلَ اللهُ صوتي

فكانَ الصهيلُ.

3

حين صرختَ بوجهي

استندتَ إلى الله..

حين بكيتُ

استندتُ إليكْ.

4

فِي غيابِكَ

تنمو لهذا الغبار

الذي يتسلّى بقلبــــي

أصابع

..

5

فِي غيابكَ

يمشي اختلاساً عليّ – أرى الوقتَ –

يدعكُ في حلمي

ليلةً من دخان

أراهُ يقاسمني وحدتي

وجنوني

ويطردني من دمي الفاترِ المتكلّسِ

يسحبني – كالمسدّسِ – من جيبهِ

ويفرّغني فيّ

يقذفني في ظلالٍ مطرّزةٍ بغيابــــي..

أراهُ أمامي

وحيداً.. يطاردُ رائحةً هربت من ثيابــــي

ومفردةً أغلقت بابَ قاموسِها

ومضت في شقوق المكانْ.

6

كأن اختلاجَ الغيابِ برمحِ الضجيج..

هنا.. بين عينيّ

هل أنتَ من قلتَ في داخلي (ابتسمي..؟

حين تبتسمينَ،

يُسافرُ نحو دمي سمكٌ ثَمِلٌ..

ويلملمُ شطآنهُ نهرٌ، .. ويرى نفسهُ حلما في مرايا الكلامِ..)

لماذا صمتّ إذاً..

وتركتَ الأصابعَ منحوتةً فوقَ ليلِ البيانو؟

وأهملتني مثل ترنيمةٍ أطفأتْ وهمَ إيمانِها كي تنامْ

..

لماذا زرعتَ على جانبَي شارِعي

حقلَ قمحٍ، إذا كنتَ لا تستطيعَ هديلَ اليمامْ؟

7

سأحتضنُ اسمي

وأبكي كثيراً عليهِ..

وأهملُ ليلَ الوسائد

سأصرخُ يا أيهذا الصدى

دلّني من أكون

دلّني أين قلبـــي،

وأين دمي فيَّ،

علّي أرى حفرة الروح تضحكُ لي..

فأعانقها،

آه يا وجعي..

يا احتيال الطريدةِ تلحقُ وجهَ المطارِد.

* * *

تحديق

ما الذي بيننا؟

ليس حباً
وهذي سماواتُ نهديّ مهملةً في يديك

وليس اشتياقاً
وها أنا أهدمُ هذا السرير بما فيه من ذكرياتٍ عليّ
وما فيه من شهواتٍ عليك

وليس اعتياداً
وها أنت تطفئُ في النور وجهي بإغماضةٍ
فيضيءُ قرنفلُ عينيَ فيك

ولا هلعاً من فراغٍ سيأتي
ولا قلقاً من ضياعٍ سيذهبُ
ها نحنُ نقذفُ أيامنا كالوسائدِ ما بيننا
دون أن نبتسم

فبماذا تفكر حين تحدّق بـــي

..

وبماذا أفكرُ

حين أنظف هذا الإطار الذي يحتويك.

* * *

محض حيرة

لو وضعتُ أمامكَ عمرين،

كنتَ ستختارُ أيهما؟

أيها الكاذبُ الأزليّ..

..

تنفّس بعمقٍ

أجل..

ثم لا تلتفت للحقيقةِ إن هي نادتكَ: (يا بني)

ابتسم

مثلما عوّدتكَ الكتابةُ

هذان عمران.. لكن قصيرين

مثل جنونِ البنفسجِ

كنتَ ستختارُ أيهما؟

* * *

أن تكونَ هنا

والفتاةُ التي صادفتكَ على المصعدِ

اختلقت صورةً لك عنكَ

وحكّت بمعطفِها حائط البيتِ..

ثم مضت

أم تكونَ هناك

تلامسُ نهدينِ من وبر الروح

كي تقشعرّ الحياةُ

وينفرُ شعرُ الكمان.

* * *

لو وضعتُ أمامكَ قلبين

كنتَ ستختارُ أيهما؟

واحدٌ منهما عالقٌ فوقَ أغنيةٍ عاليةْ

مثلَ هرٍّ صغيرٍ،

يرى الأرضَ.. لكن يخافُ السقوط عليها

وثانيهما.. وَشَقٌ أرعنٌ

تتلبّسهُ رغبةُ الانفلات.

* * *

أكنتَ ستختارُ قلبَكَ؟

كنتَ ستختارُ أن تغسلَ الهلعَ المتراكمَ

كلّ صباحٍ على جلدِ وجهكَ..

كنتَ ستختارُ أن تطلقَ الابتساماتِ

من دونِ داعٍ

كلاباً تعضُّ - بفتنتها - ضجرَ (الإتيكيتِ) الغبيِّ.

* * *

أكنتَ ستختارُني

لو وضعتُ أمامكَ نفسي..

هنا.. الآن

أم أنكَ اخترتَ حقاً،

وما عادَ من حاجةٍ للسؤال؟

* * *

أشياء منسية

خذاني إليّ
افتحا وردةً في يديّ

الكتابُ الذي ظلّ يمشي
وراءَ تعجّلِها.. هدهدا حلمه
واقطفا منهُ ما ليس لي
واتركاهُ على الرفِّ
تنمو بهِ لحظةٌ أستريحُ إلى خوفِها.

* * *

أغلقا كلّ أبوابِ وقتي
وانـــزعا حائطي
وانفضاهُ قليلاً لكي يتسنّى لهُ
أن يفكّر (ماذا سيفعل في كلّ هذا الفراغِ؟)
وكيفَ سينسى طفولتها
واتركاني قليلاً أقصقصُ أطرافَ صمتي
...

* * *

خذا ولعَ البيت بالرائحة

خذا خَدْشَ أشيائها للهدوء

خذا لِعبَها بالكلام،

خذا صومَها عن شفاهي

خذا وشمَ تفاحةِ الفاتحة

...

لأدراجنا وهي فارغةٌ ضجةٌ قاسية

لهذا الدخان الذي لا تحدّدهُ هي

موتٌ سريعٌ، وإيماءةٌ باكية

لهذي البرودةُ في لحمِ هذا البلاط الذي

يتذكر أقدامها الحافية

لها لسعةٌ في الجبينِ،

وحشرجةٌ في الرويّ الأخير من القافية.

* * *

فلا تتركاني وحيداً

ألملمُ نسيانها، وخذا من هنا..

كل لا شيءَ من بين أشيائها الباقية.

* * *

شفقٌ يشقُّ دمَ القصيدة

أحلامُها شجرُ الخواتم

وردُها طعنُ التشفّي نفسَهُ بالسحر

مشيتُها الكناية

حين يلتئم المثنّى بالمثنّى

نومُها مُهرٌ

ويا للمهر

يمضغُ وردةَ النهدين

ينقضُ ثوبَها عَرَقُ المعاني

يسقطُ التفّاحُ مغشيّاً

يرنُّ الأصفرُ الذهبيُّ.

* * *

رجلاها المبلّلتانِ تنـــزلِقانِ

من تحتِ الغطاءِ

..

تموءُ طاولةُ التبرُّجِ

أنحني لأردَّ للرّمانِ أحمرَهُ.. أُضيءُ.

* * *

دعِ الوسادةَ تولمُ الرؤيا

– دعاني هاجسٌ –

فرجعتُ

ما هذا التثاؤبُ؟

نرجسٌ يهذي؟ أكاهنةٌ تُعلِّمُ ليلَها لغةً؟

* * *

كطفلٍ ينفضُ الطَيَرانَ عن كتفيه

قلتُ:

خذِ النهايةَ من أصابِعِها.. وعدتُ أضيءُ

ساعتُها توسوسُ للنهارِ

– تعالَ أحرقني تلذّذ بـــي.. تعالَ

تعالَ..

* * *

لا تصحو ولا يصحو النهارُ

ولا أنا فكرّتُ في قلبِ الغطاءِ

(حديقةٌ بيضاءُ) تنهضُ ربوتانِ صغيرتانِ

تُشاغبانِ الوردَ تلمعُ نظرَةُ المرآة

تسقطُ قطةٌ أخرى وتنهضُ ربوةٌ أخرى

وعدتُ أضيءُ.. أنهضُ أنحني لا أنحني لأردّ للرمانِ..

بل لأردّ لي بعضَ الهدوءِ!!

..

* * *

ظلامُها شبحٌ يخفّفُ حدّةَ الأشياءِ بالإيهامِ
والإيهامُ سُلّمها الأخيرِ
وطرقُها فوقَ الظلامِ ببحّةِ الفوضى
كلامُ السائرينَ على صراطِ النومِ.

* * *

ينعرجُ المدى فتفوحُ من عيني ملائكةٌ
وتُغمِضُ فيَّ رعشتها
وتبتسمُ الرسولةُ
في قميصِ النومِ
يبتسمُ الجنون.

* * *

وحشه أمامها

صوت

بينما تنـــزفُ في عينيّ مرآةٌ

وتجري طفلةٌ عمياء في حنجرتي..

بينما أتركُ رأسي لجنونٍ غافلٍ عن فكٍّ لغزين

وألتفُّ على نارٍ

مع الجنيةِ الخرقاء في قلبـــي

لنبكي جسدينْ

فرّقت بينهما أغنيةُ الأشياء

صادفتُ الصدى المعكوس

صوتي

أعزلَ من وجههِ،

يسرقُ ميراثَ السماواتِ

ويبكي..

* * *

قلتُ يا صوتي.. يا صوتي

فما ردّ صدى الجدران.. صوتي

قلتُ من ردّكَ للمجهولِ فيكْ

مَن تناساكَ فألغاكَ

وألغى شفتيكْ

مَن من النافذةِ البيضاءِ..

يا صوتيَ

ألقاكَ عليكْ

..

لم يجبني

ابتسمت في عينهِ الدمعةُ

وانهدّ الصدى من حولِهِ.

* * *

أأخرجُ منهُ.. لتدخلَهُ أنتَ!

أجل.. فاتني أن أكونَ كما شئتَ لي

فاتني أن أصيرَ غزالاً على النهرِ

(ينظرُ للكاميرا حين يصطادَهُ الذئبُ)

يبسُمُ للموتِ، مستسلماً للفجيعةِ ما بينَ نابينِ

بل كلنّا سوفَ نُدركُ كنهَ السؤالْ..

* * *

لماذا تُحمّلني وزر خوفِكَ.. من موهم

بين عينّي ماتوا..

وأنتَ هناكَ تلوّنُ دفترَ رسمِ حفيدِكَ

بالأمنياتِ وبالشمعِ..

كيف تُحملّني وزر رعبِكَ من صوتِ أنّاهم

جاءكَ الصوتُ من جهةِ التلفزيون

لكنه جاءني من دمي..

ثم ماذا تريدُ جواباً إذا كنتَ ترفضُ

حتى بأني أصير (احتمال)..

* * *

أيها الكائنُ الضد

لا تتعجّل.. بطرحِ السؤالِ

أتركِ الماءَ للماءِ
حينّ يشف ترى فيهِ صورةَ لحنٍ
بطيءٍ.. وأثقلَ من كل هذا الرمادِ..
الذي خفتَ منهُ
وحين تراهُ فلا تتعجّل

ولا تسحجِ العاجَ بالعاجِ،
حينَ بلا كلماتٍ يناديكَ..
يا أنتَ.. مِن ها هنا..
لا تنم في قميصٍ،
فلا أنتَ في هنا هنالكَ نص
ولا فضّةٌ..
ولا أنتَ آتٍ إليكَ،
ولا أنتَ جئني.. تعالْ
لأن الذي سوفَ يحدثُ
أكبرُ من أن نهيلَ عليهِ مقال..

* * *

قاتلي الطيّب

لخنجركَ الأملس، الحادِّ مثل ابتسامتِكَ الذهبيةِ
ليمونةُ اسمي
تُرددها شفتاكَ الملطّختانِ
بحمّى افتراسِ صغارِ الكلامِ

لخنجركَ المتمرسِ في الإنـــزلاقِ المفاجئِ
والكامنِ الطعنِ
خنجرُكَ الطيبُ
المتلألئُ بالسحرِ..

لا يعرفُ الصفحَ
معقوفةٌ ذيلُهُ ومهيأةٌ هكذا..
لاقتناصِ اللديغِ

مُفضَّضُ مقبضِهِ هادئٌ
ووقورٌ
ومبتسمٌ
كنبـــي
..

لخنجركَ الرابضِ الآنَ في غمدِهِ

بعدَ ذبحي الذي كنتَ أتقنتهُ

أطمئنُ.. وأمسحُ عنهُ دمي

أنحني.. وأصلي

* * *

عزفٌ يُلاحقه، ويهربُ منهُ عزفُ

أرتدّ من قوسين

نحو يدي

فينصقلُ المدى من شفرةِ الموّال

ذاكَ أنا الذي في صورة العوّاد

منحوتاً كآلتِهِ وتركضُ في ضلوعي خيلُ ريشتهِ

وتقفزُ من مقامٍ نحوَ آخرَ،

من بكاءٍ نحو آخر

من جنونٍ نحو آخر..

يحضنُ العوّادُ موسيقاهُ

يصمتُ.. كفّهُ لغةٌ،

وفي عينيه تُقرأُ آيةٌ

وأنا كآلتِهِ..

أحاولُ أن أجاريَهُ، وأفهمهُ.

* * *

يقولُ كأننا أممٌ

تثاءبت القصيدة في مفاصلها،

أقولُ كأننا أممٌ

غفت ما بين عينيها القصيدة

كي ترى في نومِها، حلماً يؤولها.

* * *

يقولُ – وبين جفنيه ارتمى حجرٌ –

سأوقد من دماءِ القوم مدفأتي

وألتحفُ الجريمة

كي أصدّقني

أقولُ – وبين قلبيّ ارتمت لغةٌ –

سأغفرُ للذي يغتالني في الظَهرِ

أعذرُ خوفه من صمتِ عينيّ المكبّلتين بالمعنى

وألتحفُ الجريمةَ.. كي يصدّقني.

* * *

يقولُ – وقد تسارعَ في يديهِ النهرُ –

لا تقفوا هناكَ

أقولُ

لا تقفوا هناكَ

– وقد تسارعَ في يديّ النهرُ –

* * *

يحتضنُ المدى العوادَّ

يسقطُ فوقَ موسيقاه

يصمتُ

لا يقولُ، ولا أقولُ

فكفهُ لغةٌ.. وفي عينيه تُقرأ آلتان.

* * *

منتهى الليل

إلى الشاعرة الفلسطينية سارة رشاد..

بل منها

تهزُّ بفنجانها للغياب..
(اكتفيتُ) تقولُ:
الخيولُ التي تركتني هنا
صهلت بين صمتي وبين المدى
ومضت..
والحقيقةُ تمشي على الرملِ
من دونِ أقدامِها
لم تكن تقصدُ النبعَ
لكنّه كان يعرفُ خلخالها.

* * *

أنا ما اخترتُ أمي
ولكنها ولدتني على صخرةٍ
علّمتني البكاءَ
وما اخترتُ أن أصبحَ البدويةَ
في زمنٍ يكرهُ العشبَ

لكنك اخترتَ لي أن أكونكَ
يا قاتلي البدويُّ.

* * *

وأميّ أعرفها،
لم تكن تطعمُ الروحَ أغنامَها
لم تكن خيمةً في فِراشِ الرحيلِ،
ولا نجمةً تتعكّزُ ليلَ القوافلِ
أو طلقةً في نحيبِ المدى،
أو ثُغاءَ غزالٍ يصيدُ المكانَ
ويفلتُ من بين أنيابِ صيّادهِ
كي يموتَ جريحاً
على صخرةٍ علّمتهُ البكاءَ.

* * *

ولكنك اخترتَ
يا قاتلي البدويّ لها أن تكونَكَ
واخترت لي أن أراها وأُنكرها...

منتهى الليلُ
ليلُكِ يا بدويّةُ
قاسٍ كأنَ نبياّ سيُصلبُ
أغفلَ من خوفهِ.. دمه في الصليبِ

وأنتِ اكتفيتِ به

ليلُكِ الرطبُ يا بدويةُ.

* * *

هل هكذا أشمُ العمرَ؟

لي رحلةٌ نحو خوفي المؤجلَ

يا قاتلي منكَ،

أعبرها نحو خوفي المؤجلَ مني

وأهلي.. تركتُ لهم غربتي

حين قالوا [المكانُ احتويناهُ]

قلتُ

ولكنني يحتويني الفراغُ

أنا البدويّةُ

في زمنٍ يحتفي بالمسدّس.

* * *

لا ظلّ لي كي أهشّ به زمني

لا كواكبَ أعرفُها في السماءِ

وتسمحُ لي أن أنامَ إلى ظلِّها

ليس مني المكانُ

وأمي التي أرّختني

لها هامشٌ في الزمانِ.

* * *

ولكنك اخترت يا قاتلي البدويّ

لها أن تكونكَ

واخترت لي..

أن أصيرَ الحكايةَ والرمزَ

واخترتَ لي أن أعيشَ

أنا البدويةُ

في زمنٍ يكرهُ العشبَ

في زمنٍ يحتفي بالمسدّسِ

في زمنٍ يتهجّى المكان.

* * *

أَترُكُ بابكَ مفتوحاً..

إلى وفائي ليلا

كاشتباكِ شعاعين في شبحٍ؟
من بعيدٍ أراكْ

ليس للبرتقاليّ من هدفٍ فيكَ
ضربةُ فرشاةِ أعمى على لوحةِ الكونِ

هذا المضبّبُ ما بيننا
ليس نافذةً أحكمَ الوقتُ إغلاقها
وليس زجاجاً يشفُّ عن الواقعيِّ
ليخفي تعلّقَ عينيكَ بالعبثيّ

هو الصمتُ يا صاحبـــي بيننا
وهو بعضُ توّهجِ روحكَ بالخوفِ
والحذَرِ الحيوانيّ
يا صاحبـــي.

* * *

قاطعٌ

مثل ظلّ الظهيرةِ يمشي على حاجبـــي

ثم عيني عجوزٍ يحدِّقُ في موتِهِ

أنتَ..

ما بينَ عينيكَ سكّينةٌ صدئة

والعصافيرُ تخرجُ من كمّ قلبِكَ ميتةً.. مطفأة.

* * *

يدّخنُ علبةَ ماضيهِ في شَرَهٍ

ثم يكرعُ كأسَ دمشقَ ويسألني

(هل ثملتَ؟)

وتلمعُ عيناه

...

أبحثُ عن حلمٍ

يستطيعُ إذا خفتُ منهُ

وقطّبتُ روحي لهُ

أن يسامحَ..

أن يبتسم

أن يقدّمَ لي خنصرَ الصفحِ

يحملني في أزقّتهِ

...

كلما اشتقتُ قهوةَ أمي

تذكرتُ أن لساني بلا ذائقة

كلما ضاق بـــي قلقي وجنوني

تمشيتُ في حكمتي الضيّقة

كلما ابتسم الياسمين كأنثى بها رغبةٌ بـــي

هربتُ إلى لغة قلقة..

* * *

وما أكمل الشايَ يوماً

و لم يكترث بالهواءِ الذي

طنّ حولَ طفولتِهِ فغدا عمرَهُ

وضعوهُ بضمّادةٍ

فتفتقَ جرحاً بلا ندمٍ أو دمٍ

سرقوا من أصابعهِ طينَ هيئتهِ

فتشكّلَ من زئبقِ الكلماتِ،

وفاجأهم بالقصيدةِ

يقتاتُ مما يطيشُ من الطلقاتِ التي

يفرغونَ بأحزانِهِ،

وينامُ على عشبٍ يتذكره

ويزوّجُ عينيهِ من جفنهِ

ويفرّخُ أبناءه في حقائبَ غيرَ مهيأةٍ للرحيل..

* * *

هو الصمتُ يا صاحبـــي بيننا

- ما هو الصمتُ؟

ظلُ دمشقَ على شمسِ هذي الجزيرةِ؟

أم ظلها فوقَ فِطرِ الكلامْ،

ليتَ لي بعضَ ما تدّعيهِ من الصمتِ

بعضَ الهدوءِ الخفيفِ

كنومِ الفراشةِ متعبةً فوقَ أنفِ القصيدةِ

إغفاءة الأقحوانِ على كتفِ اللهِ،

بعضَ السلام المبطّنَ بالبلَهِ المحض

ركلَ الطريقَ الطويل

بهذا الحذاءِ المدبّبِ كالصلواتِ

ولكن فوضاي تسحقني يا صديقي

فوضاي من صورٍ،

فجواتٍ، أحاديثَ موتى، شخوصٍ،

فساتينَ، مرضى، مساءاتٍ استغرقت في الكآبةِ

ثَمّ قطيعُ جواميسَ فوضى تفرُّ بذعرٍ هنا

فوقَ قلبـــي الذي يتقاذفهُ صبيةٌ لا يحبونني

ويغارونَ من قلقي..

* * *

ما هو الصمت؟
اللهُ يقرأ أسماءَ طلابهِ الحاضرين إلى فصلِ حكمتهِ
أم تذكّر كأسين في مطعمٍ فارغٍ في الظهيرةِ..
يا ليتَ لي بعضَ ما تدّعيهِ من الصمتِ،
كي أفهمَ الآنَ
يا صاحبـــي
..
ويحدّقُ فيّ بعينينِ مذعورتينِ
وأهربُ منهُ
كأنا نفتّشُ عن كلمةٍ لنقولَ
وتكسرُ ما بيننا هذه النظرات
* * *

عادةً.. لا أطلبُ منكم

ليس أنسبَ وقتْ

...

ولكنه مثل كلِ النهارات

مرٌّ قليلاً.. ومرتعشٌ في يديّ

سيصفو إذا حمّمته السماء

لذلك لن أتحدث عنه كثيراً

سأتركهُ هكذا

عرضةً للتصوّر

قلبٌ مريضٌ على وجلِ الحب

لكنه مثل كل النهارات

يبدأ بالشاي

أو ينتهي بدقائقَ صمتْ.

* * *

إذاً

فليكن..

ليسَ أنسبَ وقتْ
يناسبني أنه ليس أنسبَ وقتٍ،
فما قيمةُ الوقتِ
إن لم يكن بِركةً
يغمسُ الفعلُ فيها أصابعهُ
فيطشّرُ ماءً وأيامْ.

ما قيمةُ الوقتِ
إن لم يكن حائطاً
يتفيّأ في ظلّهِ
الخارجون من الموت للموتِ مثلي

وإن لم يكن
صرخةً من ضريحٍ
تُقبّلهُ
ثم تُدرِكُ أنكَ داخِلَهُ..
والمكانُ يصيرُكَ
والوقتُ أنتْ.

* * *

(خميسٌ) يقلّبُ بين يديهِ رطوبتَهُ
والسماءُ تنظّفُ منديلَها البرتقاليَّ

فوقَ جبينِ المعزّين،

والمقبرة

ربما كانت امرأةً مُضجِرَة

...

* * *

لا حديثٌ ثنائيٌّ بيني وبين الذين يحبّونني،

لا مزاحٌ ثقيلٌ على شرفةِ العصرِ هذي،

ولا نظراتٍ تُرتِّبُ لي موعداً غامضاً في الكنايةِ

...

يمشونَ.. مشيَ الفراشاتِ

فوقَ القصائدِ

يهذونَ باسمي، وأهذي بأسمائهم

والمعرّي يحدّقُ بـــي:

(خفّف الوطء..)

بل دُس بكاملِ ثقلكَ، دعني أحسُّ برجليكَ

دعني أظّنُ بأنكَ تعرفُني

أننا في الطريقِ.. عدوّانِ والتقيا صدفةً

دُس بكاملِ ثقلِكَ..

دعني أصدّقُ أن ليس بيني وبينكَ هذا الترابُ

وأنّكَ تشتمني..

دُس بكاملِ...

...

ما زلتُ تحتْ.

* * *

(خميسٌ) قصيرٌ وتمضونَ

لكنه ليس (ميتاً) كباقي النهاراتِ

أو.. ربما

ليس (وقتْ)

* * *

طرق السجين

مثل الكلام على البحيرة

ضائعٌ هذا الصدى

لا الريحُ تنقلهُ إلى راعٍ

فيصنعَ منه أغنيةً

لكي تغفو على إيقاعِها هذي الخرافُ

ولا يُدحرجهُ إلى دَيرٍ صغيرٍ باردٍ .. نهرٌ

فتأخذَ منهُ راهبةٌ بكاءً أصفرَ العينين

كيما توقدَ المصباحَ في ليلٍ طويلٍ.

* * *

ضائعٌ هذا الصدى

كالسرِّ بين اثنين

ما نسياهُ – ثانيةً – و لم يتذكّراه

يظلّ يعدو باحثاً عن صوتِهِ

يتسلّقُ الأسماءَ

يجتازُ الإشاراتِ البطيئةَ

يقلبُ التاريخَ..

يثقبُ كلمةً من دونِ معنى

ثم ينفخها

يصيحُ

يصيحُ..

في هذا المكانِ حقيقتانِ

أنا.. وما يعنيهِ موتي

أينَ ما يعنيه..

* * *

لا يرتدّ عن صيحاتِهِ بعض الصدى

ويظلّ يصغي

ضائعاً

يحتاجُ أن يصلَ الكلامَ

يقولهُ لكنه يمضي

ويتركه يعالجُ وحده هذا الوجودَ اللانهائيَّ

الكلامُ يقوله

لكنه

يبقى حبيساً في الكلام.

* * *

ثقاب أخير..

فمٌ مغلقٌ.. ويعضّ بأسنانهِ الحزنَ
يا صحرائي الرمادية احترقيني
لينمو دمٌ أبيضُ النبضِ.. مفترسٌ،
في أصيصِ تلاشيَّ.. بــــي

تتنفسني نقطةٌ وتعلّقني
في نحيبِ السوادِ

ولا حائطٌ أسندته الظلالُ يُلامسُ شكّي
سأغفو أخيراً، سأغفو كغابةِ موتي
كصوتِ الطنين المؤبدِ في أذنِ الكون
كالسحرِ عند جفاف الندى من على صدأ الوهم
كالاختناق السماويّ بالأنبياءِ وآياتهم
وسأسدِلُ هذا الفراغَ على رملِ شاطئهِ
ثم.. أشرَقُ بالبحرِ.

* * *

لن أتحدّاكَ يا موتُ، لن أتحداكَ..
أبكي أمامكَ، أنظرُ في عينكَ..

- اسمعْ صريرَ النوافذَ في قلقي..
عبثَ الريحِ في ذهبِ الخوفِ
لن أتحداك.. أُسلمُ خنصرَ قلبـــي لروحك
أعطيكَ منديلَ دفءِ حياتي
فجفّفِ به عَرَقَ الندمِ المتساقطِ مستسلماً.. عن جبينكَ

يا أنتَ يا أبداً صارخاً كشتات،
وطشتاً نحاسيّاً استطرقتهُ أكفٌّ بلا أذرع..
وصدىً كعمودٍ بلا رأسَ يلكزُ خاصرةَ الله
يا قمري المتلعثم بـــي ، يا ابتلالي بهذا الدمارِ الذي أنا أبصرُكَ..
اخترتني وفتحتَ عن الصدرِ
فتشتَ، فتّشتَ.. كفّانِ من رعشةٍ تلمسانِ قساوةَ قلبـــي
وعينانِ ترتجفان لِما رأتا من دمي،
أيها الموتُ
يا أقحوانِ الفجيعةِ، يا صاحبـــي، يا أنا كامل بكَ، يا أنتَ مختصر فيّ
يا موتُ .. يا (شَخْطَ) عود الثقاب الأخير على مشطِ ما لستُ
لن أتحداكَ.
لن أتحداكَ..

* * *

تنام على زهرة الليل

1 – منتصف الوصف

الروحُ تفاحةُ الخاسرين،

ومشكاةُ ليلتهم،

نارهم، حدُّ سكينهم،

زيتهم في وباء الحكايات،

أرنبهم، عودُ نعنعهم،

وتطأطؤ أحلامهم،

جمرهم،

حمأةٌ في كتابهم الأم،

أسنانُ مشطهم المتشابك في الصدر،

إبهامُ ربّهمُ في فمٍ لا يُتأتئُ،

منديلُ بحرهمُ المتأنّقِ،

زخرف كسرهم،

وستائرُ شيبتهم،

نومُ قمصانهم في عراءِ الكلامِ،

وأسماكُ آرائهم...

وتفاجئهم

رحّلاً،

حسّراً،

حزّناً.

* * *

حينما أدركت سرّهم،

فزعت/فزعوا..

وأهالوا الظلامَ عليها

بكوها قليلاً

كما يفعلُ الآخرون بسندسهم

مثل موءودةٍ تتحرّى بكارة حفرتها،

نفضت عنهم الشيبَ،

عنها..

وعن يدهم

فتحوا فجوةً في سرير الرثاءِ،

أشادوا لها نصفَ مرثيّةٍ،

وزّعوا عند قبرِ القتيلةِ،

موتى يُجيدونَ موتَ الأساطيرِ..

غطّوا يديها بمشمومةِ الدهشةِ،

انتبهوا.. للفراتِ الذي خبّأتهُ بحلمتها..

قطعوا ثديها،

وبكوهُ قليلاً
كما يفعلُ الآخرون بسندسهم..

مسحوا قبرها بالتميماتِ،
فاضَ الدعاءُ من الطينِ
مثلَ حمامٍ يُسافِرُ في فلكِ الأضلعِ،
اتسّعَ الموتُ،
ثمّةَ سربُ فَرَاتينَ يخرجُ من قبرِها فزِعاً
لا الترابُ دمٌ كي يغطّوهُ بالليلِ
لا دمها كوكبٌ كي يهشّوا الملائكَ عنهُ
ولا وجهها زهرةٌ فرشت نومها في المقابرِ
لا قاتلٌ تتربّصُ أعذارُهُ بالقتيلْ.

* * *

2– حيرة الغربان

كيفَ يوارونَ سوءتهم؟
لا غرابٌ هنالكَ، لا قلقُ اللهِ
لا آدمٌ باردُ القلبِ يبكي قميصيهِ..
لا نَدَم الإخوةِ الموجعين..
ترابٌ يرعِّشُهُ الهذيانُ،
فيبردُ بالصوتِ، والماءِ.. والأدعية.

* * *

دلفوا يمضغونَ كراماتها،

يعلكون بحسرتهم ليّنَ المعجزاتِ

كما يفعلُ الآخرونَ بسندسهم،

يوقعونَ النجومَ على ركبتيها،

وينتحبونَ،

ويوصونَ أشجارَهم بالسكوتِ،

ويقترفونَ لها أسودَ الظلِّ، يرقُونَها

ثُمَّ يرقُونَها.. ثمّ يرقَونَها..

* * *

3 – قبض الحلم

وكانت خناجُرُهم تتهيأُ

مشحوذةً في خواصرِهم،

والعقيقُ يسّحُ

فيخضِبُ بيضَ لِحاهُم،

هنالكَ تمهرهم بالشراك الخديعةُ،

في خفّةٍ يحملونَ على ظهرِهم

سنواتٍ من الشكّ،

لا تسقطُ السنواتُ

ولا يسقطونَ من التعبِ،

النومُ هودجهم،

واسمرار أصابعهم في مقابضهم،

4 – طبول

موتٌ أمامَ مشارِفِ موتٍ
أضاعَ عناوينه من يديه،
فلا الروحُ تفاحةُ الخاسرينَ
ولا هو سربُ الفراتينِ،

قتلٌ كأنَ الحياةَ على طَرَفِ الخنجرِ..
– الآنَ ضاقت عليّ الأزقّةُ
واحتوشتني أصابِعُ قلبيَ
والآنَ تصعدُ نحوي وجوهٌ مضت في الرحيل
وتخفض من طرفها جملتي،
وتؤنبني جمرةُ المستحيل
هل اقترفَ الوقتُ موتاً أعزَّ،
وموتاً أشدَّ مِضاءً،
وموتاً أقلَّ من الموتِ خبثاً،
لكي أدفن الليل في نجمتين
وأمضي إلى حيث أشربُ أسئلتي مطمئناً،
أفكّر في قلقي
وأعضُّ على حلمةِ الشعر..

* * *

5 – أرجوزة القتيل

أعمى، يفتّشُ عن ليلةٍ لا تنامُ

لتقتادَهُ نحو أوجاعِهِ

(ستفاجئهُ مرةً، أو يفاجئها..

ينسيانِ بأنهما التقيا كي يناما

على كتفي حلمٍ،

مرةً.. بعدَ أخرى)،

وأعمى يقضُّ مضاجعَ موتاهُ أو قاتليهِ:

– أنا القبرُ،

سربُ الفراتين،

روحي غبارٌ،

خرجتُ من القبرِ سرّاً..

تخفيّتُ خلفَ الحجارةِ حتى تيبّس قلبـــي،

تخفيتُ خلفَ الغمامِ

فأمطرني خالقي أعيناً تتربّصُ بـــي،

وتخفّيتُ خلف الكلامِ

فبحتُ بسرّي..

وأخطأني قاتلي

مرةً بعد أخرى،

وأخطأتُني مرّتينِ

فلا الروحُ تفاحةُ الخاسرين،

ولا أنا..

* * *

6 – المرثية الأخيرة

قومي من الموتِ،

وحدي أمامَكِ،

وحدي وخلفَكِ ذاك الطريقُ الطويلْ.

أعمى يشيخُ الرصيفُ على جانبيهِ،

تشيخُ الفساتينُ بين يديهِ،

تشيخُ الخناجرُ مشحوذةً

في أكفٍّ تشيخُ،

يشيخُ حديدُ ابتساماتِ من طاردوهُ،

يشيخُ العمى بين عينيهِ..

أعمى يسيرُ وراء السؤالِ،

يقودانِ بعضهما

– أنتَ سرتَ أمامي،

فقدني إليكَ، إليها

– ولكنني أعرفُ الدربَ بالحدسِ

أعرفُ أني ستوقفني خطوتي

في الممرّ الطويلِ إليهم

يكونونَ في آخري يشحذونَ مشاغلهم

وأنا تتباطأ بيني وبيني الحكايةُ
لا أعينٌ تترقّبُ، حدسٌ شفيفٌ
وحسبُ..

* * *

7 – بمعنى..

حدسٌ غريبٌ..
وأسقطُ في قبرِها
ثمّ يتّسعُ الموتُ لي ولها..
ثم أقضمُ تفاحتي.

* * *

انسكابهما الصامت

خارجٌ من بلل التآويل

يصرخُ في واديهِ

وحيداً يرتدّ إلى أذنيه المنفى
والقاموسُ يسرِّحُ خصلةَ مفردة
بيديهِ، وعيناهُ تطوفانِ بلاداً لا تعرفُ أن
تخرجَ من عبءِ النصِّ.

* * *

وحيداً يزعقُ في كهفِ الأسماءِ
فتنفرُ من بين الكلماتِ خفافيشُ الأشياءِ

أجنٌّ في هذا القاموسِ؟
عفاريتٌ لا تعرفُ كيفَ
تعودُ لهيئتِها،

سوقٌ يكتظٌّ برائحةِ الكُركمِ،
والليمونِ
وتعطسُ فيهِ امرأةٌ ناضجةٌ بالغيرةِ،
يغدو قطاً يلعبُ مع رجلِ الكرسي،

ورجلُ الكرسيّ الخشبيّ العابقِ بروائحِ
أحذيةِ زبائنِ هذا المقهى المتعبِ،
حينَ تدقُّ عليها رجلُ العاشقِ
تصبحُ منشوراً يُقرأ في كهفِ الأسماءِ المظلمِ.

* * *

يا قاموسَ الكلماتِ الأعمى
أخبرني من أنتَ، ومن أنتم فيكْ؟

* * *

مناحة بيضاء

أمُّكَ أيها النبيُّ

ها أنا ألملم الزجاجَ عن وجهِكَ

ها أبكي فلا يُغرقني دمعيَ

والظلامُ مشربـــي الوحيدُ.

* * *

وانشطرتُ مثلُ أي نجمةٍ إلى سؤالين

وقلتُ اعتصري نفسكِ

لا تقسي على طفلِكِ، قلتُ اعتصري الوردةَ

بين القلبِ والقلبِ، وخونيكِ كثيراً.

* * *

آهِ لم ننجُ كما قلتَ

وهذا شارعي المظلمُ يمتدُّ على الكبريتِ

هذا شارعي الموحشُ

حكَّ الجبهةَ البيضاءَ للكونِ بكفيهِ

فأدمى وجعي.

* * *

أمُّكَ

ها أمسحُ عن نعلِكَ فحمَ اللهِ

- (هل أحرقتنا، أم أحرقونا بكَ)

كفي جمرةٌ بينَ قميصٍ قذرٍ والصدرِ.. تستنجدُ بـــي

أنتظرُ الوحيَ لأعطيهِ دماً لم ينتظرني.

* * *

أنتَ..

من سرّحَ عينيكَ بهذا (المشطِ)؟

من كحّل هذا الكونَ من حولِكَ بالبارودِ؟

من عطّر هذا السوقَ بالأجوبة الجاهزةِ.

* * *

اسمعني..

قليلاً قبلَ أن تذهبَ للناي

وحيداً مفرداً من دونِ عينيكَ..

* * *

انتظرني

آه لم أنتهِ من مرثيّتي، لكنّني

أدركتُ أن الله أهداكَ قميصاً أبيضاً

أو غيمةً بيضاءَ

ما عدتُ أرى..

* * *

أمّكَ

ها ألزمُ خصري، وجعي

وجهكَ..

أبكيكَ، فلا أغرقُ إلا في السؤالْ.

* * *

غيابه

ما قلتُ للرمانةِ

انشطري كلهفةِ عاشقينِ،

وشوّهي قلقي

ولكني تركتُ أصابعي للريحِ والمعنى

وتأويلِ القصيدة،

والبكاءِ ولذّةِ النسيانْ.

* * *

ما قلتُ اقفزي بيني وبيني..

واشرقي بالعمرِ وانتبهي لموتي

واخفقي كغزالةٍ تشتمُّ عطرَ الماءِ

طيري مثل قبّرةٍ بلا أخطائها

تحنو على صدرِ الهواءِ

وعلّقي خفّيكِ فوق مشاجبِ التأويلِ

كانت تلهثُ

الزمن العجوز يراقبُ الناجينَ

من تفسير رماناتهم

ويغيب في ضحكٍ بلا معنى،

وفي قلبٍ بلا خَفَقانْ.

* * *

ما قلتُ اغضبـــي مني وثوري

واكسري قلبيكِ ..

فوقَ الحائطِ الوهميِّ للشهواتِ

وانخذلي وتوبـــي

(ربما من صدفةٍ أخرى

سيولدُ بـــي إلهٌ آخرٌ حرٌّ وأعبدهُ)

وأرجعُ للسؤال البكر، بين اللحظتين

الموتِ والسِنَةِ الأخيرةِ في الحياةِ

أُطمئِنُ الباكين من حولي

وأبني للقصيدةِ عشها

في فجوةٍ خضراءَ

بين الصمتِ والهذيانْ.

* * *

هل لي أن أغيّرَ مثل غيري هذه الأدوار؟

أن أبكي قليلاً مثلهم موتي

وأن أحصي مآثرَ (صاحبي/أنا)

ذلك الشخص المسجّى في سريري

قاتلي، نفسي، شبيهي..

من هو؟

اسمي

أن أعزّيَهُ..

ولكني مسجّى مثله

في قبضةِ الرمانْ.

* * *

تهويمة

في ابتسامتهِ تطبخُ امرأةٌ

بهتت بعضُ أجزائها

قِدرَ نارٍ مؤجلةٍ..

ربما (أمهُ)،

لم أعد أتذكّرُ أو لم يعد

فالفتى فيهِ لم ينتبه بعدُ

أن العجوزَ بثيرانهِ البيضِ قد أكلوهُ

وأن الذي كانَ في ثوبهِ أمسِ

ليس هو اليومَ

لكنه بابتسامتهِ الساذجة،

ما يزالُ يحدّقُ في القِدرِ

منتظِراً دورَهُ كي ينام

* * *

على شفا النسيان

1

سوّرتني التآويلُ

فارتابَ فيّ الصدى.

2

شطرتُ طفولةَ قلبـــي إلى جانبينِ

وأبصرتُني أعبرُ اسمي إليهِ

المسّمى الذي أخطأتهُ التعاريف.

3

هَوَتْ فتاةٌ..

كنتُ أحسبها بلاداً.

4

دفقتُ دمي في دمي

وضحكتُ عليهِ.

5

يطمئنني

خوف عينيكِ حين أخاف.

6

تحاولني في البكاء قصيدة.

7

موتوا بحسرتكم

لستُ.. صيّادَ موتى،

ولستُ فريستكم.

8

تتوبونَ مثنى، فُرادى.. جماعات

تغتسلونَ بقرآنكم،

(تسحلونَ) الخطايا

على طرقاتِ الأحاديثِ

أو شارعِ المفرداتِ الشريفةِ

لكنكم فجأة

توقدونَ الشموعَ

لقتلى المكان..

9

للحمّى وُلدنا

صمتنا قبرٌ ومعنانا قصيدتنا.

10

سرقتُ أصابعي من حلمها

وكسرتها بالباب.

11

هل تُنصتين

الحزن يغسل في أديمِ الآخرينَ قميصهُ.

12

كأني تاركٌ بللي على ظمأٍ.

13

يدي منحوتةٌ لغزالةٍ

تبكي تشّظي وجهها في الماء.

14

صَدِئت لحيةُ الوقتِ

وانبعجت قِربةُ الأسئلة

كل شيء .. كأني/يضيع.

15

ستصفّرُ ليموني عن قليل

سيصفرُّ عمري

وتنمو لأهدابِ عينيه عكازةٌ

سأجرجرهُ في الهجيرِ

وأقذفُهُ في الفراشةِ

طُعماً أصيدُ بهِ المستحيل.

16

لماذا تخرجونَ من القصيدةِ
مثل صيّادين يقتاتونَ بالبارودِ؟
هل كانت لكم لغتي
فضاءً تسكنون إليه
حين تنظفونَ الطلقةَ الأخرى من الدمِ
غابةً في الليلِ تهجعُ بينها أرواحُكم
في الدربِ بين الله والقتلِ

السماءُ ستكنسُ الأخطاءَ،
لكني سأترك في القصيدةِ
طلقةً
ليعمّ صوتُ الماء في صمت المكان.

17

أيها الماثل الحلم بين الضحية والسيف
لا تطلب التضحيات من الكلمات.

18

موتي يلكزني في خاصرتي
ليس أمامَكَ غيري،
ماذا تنظرُ يا أعمى القلبِ؟

19

أغلقُ جسدي في عجل الحانوت

وأركضُ.. نحو صلاة السرّ.

20

خدعتِني يا جثة المقتولِ

كنتِ ترددين.. جداركم ثقبٌ يتأتئني

وحين عرفتِ كيفَ تسددّين، ثقبتِ أغنيتي.

21

احترق أيها الأرخبيل

لأبصرَ أصفرَكَ النرجسيَّ الجميل.

22

عندما انعكست صورتي

في الكلامِ النحيلِ

تنهّد في شفتّي دمٌ

وتراجَعَ عن مقلتيهِ الهُدى.

23

وتسألُ صيادَها..

- كن رحيماً،

تذكّر طريقَ الرجوعِ

إلى الندمِ المرّ.

24

هل أنا شجرٌ يطعنُ الأرضَ في خصرِها

كي يقولَ أحبّكِ؟

25

ويدي كتابٌ جاهلٌ بالماءِ.

* * *

صدر للشاعر

هـــا هنا جمرةٌ، وطنٌ، أرخبيل: مجموعة شعرية، دار أخبار الخليج للنشر، البحرين 2007م.

السكك، البصارة: مجموعة شعرية، دار الانتشار العربي، بيروت 2008م.

الموقع الشخصي: www.mahdisalman.jeeran.com

البريد الإلكتروني: mahdi_salman@hotmail.com